الفصل الثالث عشر

المسرح

في عهد النبوة : الفن في خدمة الدعوة

● في مواجهة الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة في عهد النبي ﷺ ، استخدم عبد الله بن خطل ، أحد عتاة الكفر ، جاريتين مغنيتين ، الأولى « فَرْتَنَى » والأخرى « فتنة » ، كانتا تغنيان شعراً بهجاء رسول الله ﷺ[1].

- فالغناء والشعر كَانَا من وسائل الدعوة المضادة منذ وقت مبكر جداً . والمسلمون أيضاً دعوا إلى الله بالشعر ، وقد كان أعظم الفنون عند العرب في ذلك الوقت ، ولمعت أسماء الشعراء المسلمين : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وقد ملأت قصائدهم مساحات واسعة من سيرة ابن هشام .

- ولما نزل قول الله تعالى ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء:٢٢٤-٢٢٦) هُرِعَ الشعراء المسلمون إلى رسول الله ﷺ، يستفسرون ، فقال لهم : « اقرءُوا ما بعدها : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية « أنتم! ﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾(الشعراء:٢٢٧) أنتم !» وقال ﷺ :«انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً ، ولا تذكروا الآباء والأمهات» ـ يعني بسُوء . وقال أيضاً : « إن المؤمن يجاهدُ بنفسه وسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لَكأنَّ ما ترمُونَهم به نَضْحُ النَّبْل »[2].

---

(١) إمتاع الأسماع ؛ ص ٣٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيات من رقم ٢٢٤ إلى ٢٢٧- وتفسير القرطبي لها ؛ ط الشعب المجلد السادس ؛ ص ٤٨٦٨ ، ٤٨٦٩ .

● وعلى هذا يمكن القول إن الفنون يجب أن تتخذ وسائل للخطاب الديني ، شريطة أن تخلو من المحرمات . لكن المسلمين لا يزالون يترددون في اتخاذ فن المسرح والسينما كوسائل للدعوة ، على الرغم من أنها صارت هي المسيطرة على عقول الناس ، وعلى الرغم من إجراء بعض المحاولات الإسلامية في مجال المسرح منذ الثلاثينيات .

اقتراحات

● ولهذا أقترح تشكيل لجنة فنية رفيعة المستوى لإحياء المسرح الإسلامي . ومن الممكن أن ينهض بهذا الإحياء رجل أعمال مسلم . وفي اعتقادي أن دراسة الجدوى من هذا المشروع ستكون لصالحه ، ونحن نرى المسارح التجارية تحقق أرباحاً كبيرة . وسيكون للمسرح الإسلامي رُوَّاده . لأن ملايين المسلمين يحبون مشاهدة المسرحيات الإسلامية ، وينفرون من المسرحيات المنحلة (الفَارْس) المسيطرة الآن .

- وربما يمكننا بعد إحياء المسرح الإسلامي التطلع إلى إنتاج تمثيليات ومسلسلات إسلامية للتلفاز ، غير « تشخيص التاريخ » الشائع الآن . وهذا مشروع تجاري ناجح ، وتطوير جذري مهم جداً في الخطاب الديني .

● والأفلام السينمائية الإسلامية تكمِّل هذا النشاط الفني الدعوي المفقود . وإنها لقفزة رائعة أن يجد المسلم لنفسه ولأهله فرصة المتعة والتعلم عبر هذه الفنون الراقية ، بدلاً من طوفان الانحلال والفساد الذي يواجهه الآن ، ويجاهد للهروب منه وحماية أهله وأولاده من شروره !

السينما

● ولم توجد بعد مؤسسة متخصصة في إنتاج الأفلام السينمائية التي تخدم الدعوة الإسلامية في العالم العربي ، وإن وُجِدَت أفلام تاريخية واجتماعية يمكن اعتبارها خادمة على نحو ما للدعوة الإسلامية. من ذلك مثلاً فيلم: خالد بن الوليد،

وفيلم صلاح الدين الأيوبي ، وفيلم عمر المختار . هذا على الرغم من ظهور عشرات الأفلام الأمريكية التي تهاجم الإسلام ، ومئات الأفلام المصرية التي تروج للفكر العلماني والانحلال الأخلاقي .

● والظاهر أن إيران سبقت العالم العربي في هذا المضمار . فقد أنشأت « جمعية التبليغ الإسلامي » مركزاً للإنتاج السينمائي ، الذي أنتج وعرض أفلاماً سينمائية جيدة[1] .

● فلماذا لا تكون لدينا مؤسسة للسينما الإسلامية ؟ إنها وسيلة يسيرة ، ممكنة ، ومربحة ، وضرورية . وهذه المؤسسة سوف تسد الفجوة الفنية الملحوظة في إنتاج أفلام الكرتون . إننا الآن نعرِّض أولادنا لتأثيرات أجنبية ضارة حين نتركهم فريسة لأفلام الكرتون غير الإسلامية .

- وهذه الأفلام تنتج الآن في مصر ولبنان وإيران . وهي تحمل القيم المرغوبة في بلد الإنتاج . ففي مصر هناك مسلسل « بكّار » الذي يبشر بقيم الوطنية والتسامح . وفي إيران يصنعون الأفلام للدعوة للثورة ، كما أنهم صنعوا « دمية » تحمل القيم الشيعية إلى أطفالهم . وفي لبنان وتركيا فضائيات تعرض أفلاماً ومسلسلات هادفة جيدة .

● فطالما أن الإسلام يُهَاجَم عن طريق السينما ، كان من الواجب علينا المواجهة بالسلاح نفسه . وهذا أمر ميسور للأفراد ، ناهيك عن المؤسسات التجارية والحكومية .

● ولكن على الرغم من كل هذه الحقائق والوقائع ، لا يزال المسلمون عازفين عن اتخاذ المسرح وسيلة للدعوة ! والعزوف نفسه يواجه السينما ، التي لعبت دوراً خطيراً ضد الإسلام والمسلمين . وقد أنتجت هوليود منذ العشرينيات من القرن الماضي عدداً من الأفلام الأمريكية صورت الإنسان العربي المسلم في صورة إنسان

---

(١) انظر : عادل حسين ؛ إيران . . الدولة الإسلامية . . ماذا تعني ؛ ص ١٩ .

همجي متخلف قاسي القلب ، تاجر عبيد ، وزير نساء . وبعد زوال المعسكر الشيوعي صورت السينما الأمريكية الإنسان المسلم على أنه العدو الجديد للغرب . وفي عام ١٩٩٨ عرضت إحدى محطات التلفاز الفرنسية فيلماً بعنوان : « أبداً بدون ابنتي» صور حياة أسرة الوالد فيها إيراني مسلم والزوجة أمريكية . وسافر الوالد إلى إيران وقرر الاستقرار فيها ، لكن الزوجة رفضت الحياة مع الزوج وأصرت على العودة إلى أمريكا مع ابنتها . ويشنِّع الفيلم على الإسلام والمسلمين ، وعلى قيم الإسلام ونظامه ، ويصفه بالتخلف والرجعية .

- وتعددت الأفلام التي تهاجم الإسلام ، وتُعلي من قدر المسيحية والنظم الغربية العلمانية ، مصطنعة الطرق الفنية غير المباشرة .

● وظهرت أصداء تلك الهجمات في عدد من الأفلام المصرية ، فيها إغراء على التحلل من القيم الإسلامية ، وتتسم بقدر من الإسفاف والتعارض مع قيم المجتمع الأمر الذي حمل لجنة الثقافة والإعلام والسياحة بمجلس الشعب على التحرك لصد تلك الموجة[1].

- وفي الولايات المتحدة الأمريكية احتجت الجمعية العربية الأمريكية لمكافحة التمييز العنصري على الأفلام التي تشوِّه الإسلام وتحط من أقدار المسلمين . واتصلت الجمعية بـ« وارنر براذرز» واتفقت معها على أن تستشير الشركة خبراء عرب ومسلمين عند إنتاج أفلام عن العرب والمسلمين . فكان ذلك مثالاً ناجحاً للدعوة الإسلامية في مجال السينما في الغرب . وحقق المسلمون الأمريكيون نجاحات أخرى مهمة في مجال التلفزة الأمريكية .

المسرح في خدمة أعداء الدين

● حقاً إن المسرح فن يوناني قديم . وكان الدين لدى اليونان يشغل مساحة واسعة من النشاط المسرحي . وفي أوربا كان المسرح يستخدم للتبشير بالمسيحية .

---

(١) الأهرام اليومية ؛ في ٢٩/١٠/٢٠٠٣ .

ولما نبذت أوربا المسيحية واعتنقت الفلسفات المادية ، عبَّر المسرح عن ذلك . فالمسرح أداة فنية لنشر دين المؤلف أو مذهبه الفلسفي أو الاجتماعي .

- لكن المسرح في العالم الإسلامي ولد في حضن أشخاص متغربين ، وغير مسلمين وبعضهم كان متعصباً لدينه ، مثل يعقوب صنوع ومارون النقاش وسليم النقاش . وبصفة عامة لم تراع المسرحيات شعور النظارة المسلمين ، بل استفزتهم أحياناً .

- وفي بلاد الشام اضطر الشيخ سعيد الغبراء إلى الاستنجاد بالسلطان عبد الحميد الثاني لوضع حد للعروض المسرحية التي لا تراعي القيم الأخلاقية ، فتم إغلاق مسرح أبي خليل .

● وظلت هناك جفوة بين المسلمين وبين هذا الفن وأهله . من ذلك أن النظارة المسلمين اعترضوا على مسرحية «عرابي» التي مثلتها فرقة خليل القباني يوم ١٩٠٠/٤/١١م ، الأمر الذي أدَّى إلى نشوب معركة بالكراسي[1].

- وبعد خمسة وتسعين عاماً تكرر ما حدث سنة ١٩٠٠ ، حين كانت فرقة مسرحية نرويجية تمثل على مسرح القلعة بالقاهرة ؛ وقد ظهر الممثلون على المسرح عُراة تمام العُرْي ، ففزع النظارة فَزَعاً شديداً ، وقاموا بثورة ، فضربوا الممثلين بالأيدي والأرجل والأحذية !

● وحتى الآن ، لا يزال المسرح العربي يؤدي دوره التغريبي والإفسادي المنحل في معظم المسرحيات . ولا تزال الجماهير المسلمة تنظر إلى المسرح على أنه متمرد على القيم الدينية التي يؤمنون بها ، ولذلك يهجرونه إلا في حالات قليلة جداً .

---

(١) راجع : دكتور محمد يوسف نجم ؛ المسرحية في الأدب العربي الحديث ؛ دار الثقافة ؛ بيروت ؛ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ؛ ص ٥١ .

محاولات إسلامية

● ولقد حاول بعض شيوخ الأزهر استغلال المسرح في الخطاب الديني ؛ وقد عرفوا أثره البعيد في قلوب الناس وعقولهم . فألف الشيخ علي الطنطاوي في الثلاثينيات من القرن الماضي مسرحية . والظاهر أن تلك المحاولة أخفقت منذ البداية .

- لكن الأمل ظل يراود الكثيرين ، فجَرَت محاولات في جمعية الشبان المسلمين . وأذكر أنني شاهدت مسرحية إسلامية على مسرح دار الأوبرا القديمة موضوعها صلاح الدين الأيوبي (ولا أذكر التاريخ) .

● وتألفت «فرقة المسرح الإسلامي» في الخمسينيات من القرن الماضي ، برئاسة المخرج محمد عثمان ، بهدف : «تنمية الروح القومية الإسلامية وبث الشعور بالعزة والكرامة في شباب الأمة ، بعرض الأمجاد التاريخية وتعريف المواطنين بتاريخهم الإسلامي المجيد»[1].

● وأخرج محمد عثمان مسرحية «حليمة السعدية» في أول عمل لفرقته . ونالت المسرحية إعجاب رجالات الأزهر ، فقال مدير مكتب شيخ الأزهر ومراقب عام البحوث والثقافة بالأزهر الشيخ محمد فهمي إسماعيل : «أشجع المسرح الإسلامي بقلبي ودمي وكل شعوري ، وأرجو أن يتناول هذا التقدير المؤلف الأستاذ حزين سلامة والمخرج الأستاذ محمد عثمان وجميع المشتركين في تقديم مسرحية «حليمة السعدية» ، وأتمنى للمسرح الإسلامي في جميع مراحله كل تقدم»[2]. وشارك شيوخ آخرون الشيخ محمد فهمى إسماعيل هذا التقدير .

- وتوقفت فرقة محمد عثمان . والمهم أن هذه المحاولات لم تجد اعتراضاً من رجال الأزهر ، بل لقيت التشجيع والإعجاب الكبير .

---

(١) الفقرة الأولى من الكتيب الخاص بمسرحية حليمة السَّعْدية .

(٢) آخر صفحة من الكتيب نفسه .

● وذكر الأستاذ عبد الرحمن البنا في مقال له في جريدة الشعب أنه شكل فرقة مسرحية إسلامية في الخمسينيات ، وأنها أخرجت مسرحية « غزوة بدر » على مسرح الأزبكية يوم الجمعة ١٩ رمضان المعظم سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦/٨/١٦م ، وكان من بين أعضائها عبد المنعم مدبولي وإبراهيم الشامي ومحمد السبع وعبد البديع العربي[١]. وقد صاروا اليوم من رواد المسرح في التمثيل والإخراج .

● وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين ، ومع ظهور التلفاز ظهرت المسلسلات الإسلامية التاريخية ، التي « تشخص التاريخ » ولا تتخذه مادة لتبنّي الأفكار والقيم الإسلامية ، ومع ذلك استمرت ولقيت قبولاً حسناً .

● ثم دخلت الجامعات السعودية مجال المسرح في بداية القرن الهجري ١٥ وأعلنت جامعة الرياض عن مسابقة للتأليف المسرحي، على مستوى العالم العربي، فتقدم لها ٧٤ مؤلفاً بأربعة وسبعين مسرحية[٢]. وكانت خطة الجامعة تشتمل على إخراج بعض تلك المسرحيات الفائزة بالجوائز ، لكن تلك الخطة لم تنفذ لأسباب فنية .

- وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد أعلنت عن مسابقة أخرى للتأليف المسرحي سنة ١٤٠٠هـ . وفازت مسرحية « الصداق » بالجائزة الأولى لمسرحيات الفصل الواحد . وأُخرجت « الصداق » على مسرح كلية الشريعة بالرياض ، ولقيت قبولاً حسناً[٣].

---

(١) جريدة الشعب ؛ يوم ١٤٠٨/١١/٢٩هـ .

(٢) كان لي شرف الفوز بالجائزة الأولى عن مسرحية « قطار خرج عن القضبان »، وهي في ثلاثة فصول .

(٣) وكانت من تأليف كاتب هذه الدراسة . وكانت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون تعرض بعض المسرحيات في الرياض العاصمة وفي بعض مراكزها في المدن الكبرى . ودفعني ذلك إلى الاتصال بها والتعاون معها ، فعَرَضَتْ لي مسرحية « سقوط الحساب » على مسرح المربَّع في رمضان المبارك سنة ١٤٠٠هـ ، ثم مسرحية « الكَرَمَانِيَة » على المسرح نفسه سنة ١٤٠٢هـ .

● وأهم من ذلك أن عرض مسرحية على مسرح كلية الشريعة يزيل كل ريبة في حُرمة التمثيل المسرحي . فهو وسيلة فعالة للدعوة ، ولا يجوز أن تُترك لأعداء الإسلام من المتغربين دون أن يُزاحمهم أحد .

- ولكن للأسف كانت تلك هي المسرحية الوحيدة التي رأت النور .

● والآن بعد انتشار القنوات الفضائية ، يبدو المسرح الإسلامي ضرورة دعوية . فالناس لا تدع مسرحية لتصغي لحديث ديني ، ولا تدع الأفلام والمسلسلات إلا لتشاهد ما هو أقوى جاذبية . فالتحديات الراهنة أقوى كثيراً من تلك التي واجهت المسلمين في الثلاثينيات من القرن الماضي وتلك التي واجهتهم في نهايته .

● والمسرح ، وما ينبثق عنه ، من أفلام سينمائية ومسلسلات تلفازية ، سيكون له آثار إيجابية بعيدة المدى . وهو يمثل تنويعاً بارزاً وتطويراً هائلاً في قائمة الوسائل الدعوية . وسوف يثبت أنه من أهمها .

● ولعل الدرس البالغ في دعوة نبي الله نوح عليه السلام هو التنويع في الوسائل . والقرآن الكريم يسجل له هذا التنويع بقوله ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (نوح:٥-٩)

مشروعية العمل المسرحي

● ومن أجل إزالة أية شكوك حول جواز الدعوة عن طريق المسرح ، سأحاول في إيجاز بيان مكوناته وأهم عناصره فيما يلي :

- فأقول وبالله التوفيق إن المكونات الجوهرية للعمل المسرحي هي : القصة ، والصراع ، والحركة . ويليها في الأهمية الموسيقى التصويرية (أو الجوقة) . وبعض أنماط المسرح تشتمل على غناء ورقص . وتثور عادة مسألة اشتغال النساء بالتمثيل المسرحي تبعاً لذلك . فلا بد أن يمتد البحث إلى هذه المسائل .

(١) القصة

ونبدأ بالقصة التي هي مكون جوهري لأي عمل مسرحي . والقصة قد تكون مجرد خيال . وقد تكون واقعية ، بمعنى أنها يمكن أن تقع لأي إنسان . وقد تكون تاريخية تحكي وقائع حدثت فعلاً في تاريخ أمة من الأمم . وفي كل الحالات تُوظف القصة في خدمة الغاية المنشودة للمؤلف المسرحي .

- والقصة ، بكل أنواعها ، ليست غريبة عن تراثنا الإسلامي . ففي القرآن الكريم نفسه ضروب من القصص . وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب : « وقد استخدم القرآن ـ في أغراضه الدينية البحتة ـ كل أنواع القصة : التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية ، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة المضروبة للتمثيل والتي لا تمثل واقعة بذاتها ، ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة وأي عصر من العصور »[1] . ومثال النوع الأول قصص الأنبياء ، ومثال الثاني قصة ابني آدم ، ومثال الثالث قصة صاحب الجنَّتَيْن التي وردت في سورة الكهف .

وفي ضوء هذه الحقائق لا بد أن تتبدد الشكوك التي قد تساور بعض الأتقياء حول حرمة القصة المسرحية . فالقصة أصيلة في ثقافتنا ، ويجب أن نستثمرها ونثريها بأعمال جديدة ، من قصة قصيرة ورواية طويلة ومسرحية .

(٢) الصراع

ولابد أن تنطوي القصة المسرحية على صراع من نوع ما . والصراع عبارة عن أنواع من التدافع والتصادم والنزاع بين الأفراد أو الأفكار أو المصالح والأهواء

---

(١) منهج الفن الإسلامي ؛ دار الشروق ؛ ط ٤ ص ٢٢٦ .

والشهوات والواجبات أيضاً[1]. والأطراف المتصارعة تختلف في ثقافة أمة عنها في ثقافة أمة أخرى . بل إن شكل المسرح ووظيفته يحددهما المناخ الحضاري وأحوال المجتمع[2]. وعلى هذا يجب أن يكون الصراع في المسرحية الإسلامية بين الشهوات والأهواء من جهة ، وبين الواجبات الشرعية من جهة أخرى ؛ أو بين الالتزام والتحلل ، والحق والباطل . وقد يكون الصراع في المسرحية الإسلامية بسبب عجز البطل عن الوفاء بواجبين شرعيين متقابلَيْن في موقف واحد بعينه . مثال ذلك : واجب شهادة الحق ، حين يكون المجرم والد الشاهد أو ابنه ! فهو يريد أن يكون باراً بوالده ، كما يريد أن يشهد شهادة الحق أيضاً . ولهذا تتصارع في عقله وقلبه مشاعر متعارضة .

(٣) الحركة

يقول «آلمر رايس» ـ الكاتب والمخرج المسرحي الأمريكي ـ إن جوهر المسرح هو الحركة ، يعني حركة الممثلين على خشبة المسرح : «وإن المسرحيات تُكتب لكي تمثَّل». ومعنى هذا أن أداة التوصيل ليست كلاماً يُقرأ ، وإنما هي كلام يُقال بأساليب مختلفة ، مع حركة محسوبة يرسمها المخرج ويؤديها الممثلون . وهذه الحركة لا تعدو أن تكون من الوسائل المشروعة لتوصيل المشاعر والأفكار إلى المشاهدين . والحركة يمكن أن تُوثَّم شرعاً إذا كانت ضارة أو مخالفة لقاعدة شرعية ، كما أنها يمكن أن تكون مندوبة أو واجبة إذا كانت مؤدية إلى طاعة الله تعالى . أما الحركة بدون نية أو غاية ، فلا حكم لها في الشرع . ولم يرد نص من كتاب أو سُنة يمكن أن يحرم الحركة التي تجسد مغزى القصص الإسلامي وتوصله إلى المشاهدين[3].

---

(١) د . محمد زكي العشماوي ؛ دراسات في النقد المسرحي ؛ ص ٣٠-٣٧ .

(٢) آلمر رايس ؛ المسرح الحي ؛ ترجمة د . داود حلمي السيد ؛ دار نهضة مصر ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٦٥م ؛ ص ٣٨ .

(٣) أبو حامد الغزالي ؛ المستصفى ؛ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ؛ نشر مكتبة الجندي بالقاهرة ؛ (دون تاريخ) ؛ ص ٢٣٠ .

- والحق أن مسألة الحركة يسيرة جداً . فنحن عادة نتكلم ونتحرك ونشير بأيدينا ورؤوسنا لإيضاح معنى كلامنا . والحركة في المسرح محاكاة لما نصنعه في واقع الحياة .

- هذه هي العناصر الثلاثة الجوهرية للعمل المسرحي ، وما عداها ثانوي ويمكن الاستغناء عنه . بل إن أحد كبار المسرحيين الأمريكيين - وهو « جيرزي جروتوفسكي » دعا إلى إقامة مسرح على العناصر الجوهرية الثلاثة ، وسماه « المسرح الفقير » - بدون « ماكياج » أو ملابس أو مناظر مسرحية أو إضاءة أو مؤثرات صوتية[1] . وقد أُخرجت مسرحية « الصداق » على خشبة قاعة المحاضرات العامة بكلية الشريعة بالرياض ، بالعناصر الجوهرية وحدها ، ولقيت القبول والإعجاب . وهكذا يجد المؤلف المسلم أن بوسعه الاستغناء عن أي عنصر ثانوي إذا رأى فيه مخالفة شرعية .

ولقد ألَّف شيخ أزهري مسرحية سنة ١٨٧٣م وقام طلاب أزهريون بتمثيلها[2] . لكن المسرح الإسلامي لم يوجد بحق إلا في بداية القرن العشرين ، حين كتب إبراهيم رمزي وأحمد شوقي وغيرهما مسرحيات عديدة ، أُخرج منها عدد قليل ونشر الباقي في كتب . وهذا يدل على أن هناك إحساساً بخطورة هذا الفن ، وواجب تسخيره للخطاب الديني المتطور .

نماذج من المسرح العلماني

● وهو المسرح الذي يسخَّر ضد الدعوة ، وتجد المسرحيات المضادة للدعوة التقدير والرعاية فيه .

مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي

● فعندما لاحت بشائر انتصار الثورة الجزائرية بوصفها ثورة إسلامية ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ، سارع عبد الرحمن الشرقاوي بتأليف مسرحية

---

(١) دكتور سمير سرحان ؛ تجارب جديدة في الفن المسرحي ؛ نشر مكتبة غريب بالقاهرة ؛ (دون تاريخ) ؛ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١

(٢) دكتور محمد يوسف نجم ؛ المسرحية في الأدب العربي الحديث ؛ ص ٩٠ .

«جميلة» التي حاول فيها إنكار خاصية الثورة الإسلامية . وحفلت المسرحية بامتداح فرنسا وحضارتها ، حتى بلغ التحريف لدى المؤلف حد الزعم بأن عاهراً فرنسية كانت «تجاهد !» مع المجاهدين ، وهي التي سماها «سيمون» وجعلها تقوم بأهم عمل ثوري !

- وأظهر المؤلف عبد الرحمن الشرقاوي ، وهو يساري شيوعي عطفه على الجنود الفرنسيين الفقراء الذين يجبرون على قتل الجزائريين على غير إرادة منهم ! وتساءل الناقد محمد جلال كشك إن كان ذلك استعداداً لترجمة المسرحية إلى الفرنسية ؟[1]

● ومن المسرحيات الفائزة بجوائز وزارة الثقافة المصرية مسرحية بعنوان : «مَرْحَى غيلان» . وبطل المسرحية هو غيلان هذا . ويصفه المؤلف فيقول إنه : «شيخ في الستين ، متحدث وحكيم ، شخصية غير واقعية ، لم يأت به التاريخ ، لأنه ما زال يحمل فوق كهولته أعباء التاريخ وأعباء الزمان والمكان». ويقول غيلان عن نفسه : «أنا الضمير الآدمي»[2]. وهو متهم بالخروج على الحكم في عهد عمر بن عبد العزيز (ﷺ) . ويحكم عليه بالإعدام ، لكنه يتلاشى أو يتبخر! وتصوره المسرحية على أنه مصلح كبير ، وثائر ضد المظالم ، وزعيم للشعب ، مثل المهيِّجين الشيوعيين في العصر الحديث .

- وحين يواجه الخليفة الراشد الخامس يقول له : «أنت امتداد بني أمية والطغاة السابقين»[3]. وبعد ذلك يقول عمر : «غيلان حق»[4] ويعينه والياً على العراق لكنه يرفض[5]. ويأمر عمر بإصدار بيان باسم الخلافة يشتمل على آراء غيلان[6].

---

(١) محمد جلال كشك ؛ الغزو الفكري ؛ نشر المختار الإسلامي ؛ ط٤-١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ؛ ص٧٢.

(٢) وزارة الثقافة ـ المركز القومي للمسرح ؛ مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ص ٣٠٦ ؛ والمسرحية من تأليف عبد المنعم محمد عبد المنعم .

(٣) نفسه ؛ ص ٤٦٤ .

(٤) نفسه ؛ ص ٣٦٩ .

(٥) نفسه ؛ ص ٣٧٧ .

(٦) نفسه ؛ ص ٣٧٩ .

● وقد نوافق المؤلف في رأيه برفض المظالم والانحرافات ، لكننا لا يمكن أن نوافقه على الصورة غير اللائقة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ولا على اختيار اسم غيلان ليكون معبِّراً عن الضمير البشري ، لأن «غيلان» التاريخي ذهب في نفي القدر مذهب معبد الجهني ، واستتابه عمر بن عبد العزيز ، ولكنه عاد إلى دعوته ، فقتله هشام بن عبد الملك . فكان الخلاف بينه وبين السلطات عقيدياً ، ولم يكن زعيماً للفقراء والعبيد والمظلومين . ومهما قال المؤلف إنه شخصية غير واقعية ، فإن المسرحية تنفي قوله وتؤكد أنه هو غيلان التاريخي الذي لا يستحق شيئاً من تقدير المؤلف الزائف .

● وفي «مسرحية الانتظار» ، تأليف سيد محمد أبوذكري ، قصة زوج ضَبَطَ زوجته في الفراش مع رجل غريب ، فقتلهما . ثم قتل نفسه ومات منتحراً .

- ويشهد النظارة الزوجين وهما في العالم الآخر يتحادثان . وهما يتناولان مسألة الجبر والاختيار ، وتبدو السطحية المفرطة في آرائهما ، في محاولة لتسويغ جريمة الزنا . وتزعم المرأة أن زواجها كان صفقة بالنسبة لزوجها : «أما بالنسبة لي فكان عملية اغتصاب . . عملية اغتصاب حقيرة»[1] .

● وتنتهي المسرحية بدخول الزانيين الجنة ، ودخول الزوج المخدوع النار!

- وهكذا يحاول المؤلف تسويغ الزنا ، لا لشيء سوى أن الزانيين كانا على علاقة حب ، لكن والد المرأة زوَّجها لرجل آخر . ومعاشرة الزوج لزوجته اغتصاب جزاؤه جهنم![2]

● ومن ضمن المسرحيات التي فازت بجوائز وزارة الثقافة المصرية مسرحية «السادة لا يكذبون» من تأليف الدكتور كمال الدين حسين ، سنة ١٩٩٩ وهي

---

(١) مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ؛ ص ٤٩٦ .

(٢) نفسه ؛ ص ٥٠٨ ، ص ٥١٠ .

قصة أسطورية يطرح المؤلف من خلالها آراء عديدة حول الحكم والحكام ، وبطانتهم ، ويشكك في الجميع ، الحاكم والوزير والكاهن والبهلول ، والثائر والشعب المحكوم نفسه ، والأفكار المتداولة بينهم جميعاً[1].

●● ترى هل سنظل على موقفنا الرافض للمسرح إلى يوم الدين ؟ هل سندع الإعلام المسرحي الثقيل ليستأثر به أعداء الإسلام ؟ ومن ذا الذي يتحمل مسئولية ذلك أمام الله تعالى؟

* * *

(١) مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ؛ ص ١٢٣-٢٠٨ .

ملحق الباب الثاني

قوائم الوسائل

بعد هذا الباب الطويل في حوالي مائة وخمس وعشرين صفحة ، من المفيد أن نحدد الوسائل المقترحة للخطاب الديني المتطور ، والوسائل التي يمكن أن نطورها من تلك التي نستخدمها الآن أو كان المسلمون يستخدمونها في الماضي ، وكذلك الوسائل التي اصطنعها كبار الدعاة في العصور الحديثة .

الوسائل المقترحة

- أهمها : تكوين فرقة مسرحية إسلامية ، وإنشاء دار عرض خاصة لها ، في إحدى العواصم الإسلامية ، ثم تكرار التجربة في سائر العواصم الإسلامية .
- ويأتي بعد المسرح ويرتبط به مشروع إنشاء مؤسسة خاصة للإنتاج السينمائي والتلفازي ، والإعلامي .
- وأقترح مشروع «مكتبة الحي» الإسلامية ، و «مكتبة القرية» ، وإذا أمكن ، تلحق بها صالة محاضرات ، وقاعة لعرض الأشرطة الدعوية .
- وإصدار الكتيبات التصحيحية وتوزيعها . وهذا يحتاج إلى إنشاء مؤسسة تراقب ما ينشر ، وتصحح ما قد يكون به من أخطاء .
- وتكوين لجان مشورة تسمى «أصدقاء خطيب الجمعة» في كل مسجد جامع .
- وأقترح إحياء وسيلة «تأليف القلوب القرآنية» المهجورة .
- وتوظيف الوسائل المالية في مواجهة التنصير (إلى جانب الوسائل الأخرى بطبيعة الحال) .

تطوير الوسائل المستخدمة حالياً

● وتطوير الوسائل المستخدمة حالياً مهم جداً . ومهمة التطوير تقع على عاتق أهل الاختصاص الكبار . وأما التفاصيل فكل فيها فقيه نفسه .

- وأول ذلك التزام العلم واجتناب الخرافات والإسرائيليات والقصص الزائف في كل الوسائل الدعوية .

■ والثاني استيعاب كل المستجدات وأخذها في الاعتبار ، سواء في أحوال المخاطبين والوسائل والمنهج الدعوي .

■ والثالث أن يكون اتجاه التطوير إلى توسيع دائرة كل ما هو إسلامي في «الهجين» الثقافي ، وتنحية كل ما هو مادي معارض للإسلامي .

● **وهذا التطوير يجب أن يشمل الوسائل التالية :**

■ كليات الدعوة ومعاهدها وأقسامها بحيث تستطيع تخريج دعاة قادرين على استعمال الوسائل الحديثة ، بما في ذلك «الإنترنت» والفنون والمسرح .

■ مراجعة المواد «القيمية» في مناهج التعليم وتنقيتها من «المادية» وإبراز طابعها الإسلامي (وهي مواد التربية الإسلامية والدين والتاريخ ، والفلسفة والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة) . وإدخال بعضها في الجامعات .

■ العمل بخطة تجعل الصحافة كلها إسلامية ، لا مجرد باب في كل جريدة أو صفحة في مجلة . وأعني بهذا أن تُلاحظ تعاليم الإسلام ومقاصده العليا في كل ما يكتب من مقالات وتحقيقات ودراسات .

■ تطوير الإذاعات الإسلامية بحيث تلتزم بالمقاصد العليا للشريعة ، وتتخلص من «الهجين» السائد فيها الآن .

■ التدقيق في اختيار المخطوطات التي تطرح للتحقيق ، ودعمها ، علمياً ومالياً ، وإدخالها في مناهج الدراسة الجامعية .

■ الإعداد الجيد للمؤتمرات لكي تخدم أهداف التطوير ، والبعد عن «الاحتفالية والشكلية والدعائية» السائدة الآن .

■ التوسع في عقد المسابقات البحثية في إطار التطوير المنشود ، ورصد الجوائز والمنح لها ، ونشر إنتاج المتسابقين المميزين ، على أن تدخل الآداب والفنون في خدمة الدعوة ، وتوضع ضمن موضوعات البحوث .

- تكليف جهات متخصصة بطبع ونشر الإنتاج الإسلامي وتوزيعه (الكتاب العلمي ، والمسرحية ، والرواية ، وديوان الشعر) .
- إلزام الوعاظ والخطباء بإجراء دراسات إسلامية ، وفتح باب الحصول على مؤهلات أعلى لهم ، وتكليفهم بتدريس بعض المواد القيمية في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، إلى جانب التدريب الجاد المتواصل .
- إنشاء مركز بحوث لمتابعة ما ينشر عن الإسلام في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، ونقده ، وتقويمه ، في دورية ربع سنوية محترمة ورصينة .

الوسائل التقليدية

- الاتصالات الشخصية (والحوار ، والجدل) .
- الرسائل إلى الزعماء والقادة عن طريق الوسائل المتاحة .
- إرسال البعوث للدعوة (في خارج البلاد العربية) .
- الخطابة (وخطبة الجمعة) .
- الوعظ .
- التعليم في المدارس الرسمية (والأهلية ، والكليات والمعاهد الجامعية) .
- الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم .
- الكتاب الإسلامي .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) .
- الإفتاء .
- الخدمات الاجتماعية .

الوسائل العصرية

- التربية والتعليم (التربية الإسلامية ـ المواد القيمية ـ معاهد لتخريج الدعاة) .
- الإعلام (صحافة وإذاعة وتلفزة) .

- دور النشر الإسلامية .
- الآداب والفنون (الرواية والقصة والشعر) .
- الحوار الإسلامي المسيحي وحوار الحضارات ومؤتمراته ، ورد الشبهات .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتابة .
- الاتصالات الفردية وال Chat rooms : تدريب الأفراد عليها والحث على ممارستها .
- ترجمة الكتاب الإسلامي إلى اللغات الأجنبية .
- تحقيق التراث الإسلامي ونشره وإعْماله .

● ما الوسائل التي اصطنعها كبار الدعاة في العصر الحديث ؟

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١١١٥-١٢٠٦هـ) ، اصطنع : الدروس الدينية ، والوعظ ، والخطابة ، والإفتاء ، والرسائل ، والمناظرات ، وتأليف الكتب ، والعمل السياسي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] .
- واصطنع الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله (١٨٣٩-١٨٩٧م) : الدروس الدينية ، وحلقات النقاش والمناظرات ، وكتابة المقالات للصحف ، وتأليف الكتب ، والعمل السياسي .
- وأما الشيخ محمد عبده رحمه الله (١٨٤٥-١٩٠٥م) فكان التعليم محور حياته . وإلى جانب التعليم مارس محمد عبده التأليف والصحافة والإفتاء والعمل الخيري (كرئيس للجمعية الخيرية الإسلامية) ؛ فهذه خمس وسائل دَعَوية . والتعليم يشمل التدريس في دار العلوم بالقاهرة ، وفي أثناء نفيه في بيروت . والتأليف يشمل حاشية على شرح الدواني،وشرح مقدمات البديع ونهج البلاغة، ورسالة التوحيد ، والرد على «هانوتو» ، ويمكن إضافة تفسير القرآن إلى

---

(١) د . عبدالرحمن عبدالهادي ؛ دراسات في تاريخ المملكة العربية السعودية ؛ نشر دار الخريجي بالرياض ؛ سنة ١٤٢٣هـ ؛ ص ٢٤ ، ص ٢٩ .

مؤلفاته أو إلى دروسه . وعمله في الصحافة يشمل تحرير «الوقائع المصرية» والإسهام في تحرير مجلة «العروة الوثقى»[1].

- واستخدم الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : كتابة المقالات ، والإفتاء من خلال البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، وإعطاء الدروس والمحاضرات العامة ، وحاول تأليف مسرحية إسلامية .
- واستخدم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : التدريس والخطابة ، وتحقيق التراث ، والإفتاء ، وكتابة المقالات الصحافية ، والوعظ والإرشاد ، والإسهام في المؤتمرات .
- واستخدم الأستاذ المودودي رحمه الله : تكوين الجمعيات ، والخطابة ، والمحاضرة ، والصحافة ، وتأليف الكتب ، وتفسير القرآن ، والبرامج الإذاعية ، والمؤتمرات ، والندوات ، والإفتاء ، والوسائل المالية ، والسياسية .
- واستخدم الأستاذ الندوي رحمه الله : التدريس ، وإلقاء المحاضرات ، وتأليف الكتب ، والخطابة ، والمؤتمرات والندوات ، والاتصالات الشخصية ، والترجمة ، وإدارة المؤسسات الإسلامية .
- واستخدم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله : التدريس ، والخطابة ، وتأليف الكتب ، والإفتاء ، والكتابة للصحف ، وتكوين الجمعيات في خدمة الدعوة الإسلامية .
- واستخدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : الخطابة ، وتأليف الكتب ، وإلقاء المحاضرات العامة ، والتدريس ، وكتابة المقالات ، وحضور المؤتمرات ، والإفتاء ، والاشتراك في قيادة الجمعيات ، والوسائل الإذاعية والتلفازية (أحاديث وندوات) .

---

(١) راجع : عباس محمود العقاد ؛ محمد عبده ؛ ص ٦٥ .

● ويلاحظ أن كل واحد من هؤلاء الدعاة قد اصطنع الوسائل التي أتيحت له في عصره وفي بيئته الاجتماعية ، وبما يتناسب مع حالة المخاطبين ، وما يمكنه من التصدِّي للقوى المضادة للإسلام . وهذا درس لنا اليوم ، فلا يجوز أن نهمل وسيلة دعوية لأن شيوخنا لم يستعملوها ، أو لأن أعداء الإسلام استأثروا بها ، فبدت للبعض كأنها لا تصلح إلا للهدم والتشكيك والفساد ، فإن الوسائل محايدة ، كما سبق أن ذكرت ، بها يمكن الإصلاح والإفساد جميعاً .

أقول هذا في ختام هذا الباب لإحساسي بأن كثيرين سوف يترددون في استعمال المسرح والسينما ، ويتأثمون منهما ، واقتناعي بأنهما أصبحا أخطر وسيلتين للخطاب الديني المتطور في العصر الحديث . فهل نملك العزيمة والشجاعة والاقتناع بواجب اقتحام عالم المسرح والسينما ، أم نتردد ، ونتقاعس ، لتظل المواجهة مع أعداء الإسلام بين : الصواريخ العابرة للقارات وسيوف من خشب ؟ !

* * *